الفصل الأول

النصرانية بين اختصاصها لبنى إسرائيل وادعاء عمومها لجميع الأمم

المبحث الأول

خصوصية رسالة عيسى عليه السلام لبنى إسرائيل من خلال نصوص الأناجيل الحالية.

النصوص الدالة على خصوص الدعوة لبنى إسرائيل:

أولاً: ورد فى إنجيل متى «**فستلد ابنا وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم**» (١).

البشارة هنا بعيسى قبل مولده. كما ورد فى إنجيل «متى» وأن يسوع يخلص شعبه من خطاياهم، ولكن «وليم إدى» يفسر هذا النص بقوله: «**يخلص شعبه أى اليهود أولا. ثم جميع الذين يؤمنون به من كل أمة**» (٢).

وليس هناك إشارة فى النص من قريب أو بعيد. تشير إلى تخليصه لغير شعبه وهم اليهود وهذا تحكم فى تفسير النص بقول شارح النص أولاً... ما دلالة ذلك فى النص؟ لا وجود لها، وسوف نرصد ونبين كيف طرأت دعوة عالمية النصرانية على يد «بولس».

ثانيا: ورد فى إنجيل «متى» عن توجيهه لتلاميذه بنشر الدعوة «**هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا: إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة وفيما أنتم ذاهبون اكرزوا قائلين قد اقترب ملكوت السماوات**» (٣).

---

(١) متى ١/ ٢٠.

(٢) الكنز الجليل في تفسير الإنجيل ج١ ص٩

(٣) متى ١٠/ ٥- ٨.

فى هذا النص تتضح وصية عيسى لتلاميذه- إلى طريق أمم لا تمضوا. وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا- لقد أرسلهم إلى أمتهم اليهود الشعب المختار والمراد بخراف بيت إسرائيل الضالة- أى اليهود الذين ضلوا عن مسالك الحق والعبادة الروحية فكانوا كغنم بلا راع- وهذا التبشير من قبل التلاميذ كان استعدادا لتنبيه أفكار اليهود وتمهيد الطريق لكل التعاليم المسيحية كما يقول «**وليم إدى**» فى تفسيره للنص السابق.

ولكن مفسرا آخر لنفس النص- يحاول أن يستشف المرحلية فى الدعوة من خلال وصية المسيح لتلاميذه التى تأمرهم بأن لا يدخلوا عند غير اليهود يقول: «**أمر التلاميذ بأن لا يكرزوا بالإنجيل فى الزمن الحاضر- إلا لليهود فقط**» [١] وليس هناك ما يدل على ما ذهب إليه مفسر العهد الجديد من خلال النص الذى يفسره.

ثالثًا: فى نفس إنجيل «متى» نص آخر يدل دلالة صريحة وواضحة على كون دعوة عيسى عليه السلام خاصة لبنى إسرائيل فقط مهما كانت الدواعى والظروف الموجبة لدعوة غيرهم يقول «متى» «**وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت إليه قائلة: ارحمنى يا سيد يا بن داود ابنتى مجنونة جدا فلم يجبها بكلمة فتقدم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين اصرفها لأنها تصيح وراءنا فأجاب وقال لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة**» [٢].

وتعليقنا على هذا النص هو أنه بالرغم من صراخ المرأة وحاجتها الشديدة لشفاء ابنتها إلا أن المسيح بناءً على رواية إنجيل «متى» لم يغير

---

(١) تفسير العهد الجديد في مجلد واحد ص٢٥ دار الثقافة .
(٢) متى الإصحاح ١٥ - ٢٢ - ٢٤ .

موقفه ولم يتصرف من تلقاء نفسه لأنه مرسل إلى بنى إسرائيل فقط- كما أجاب تلاميذه- ونقرأ تفسير ذلك النص فى المصادر المسيحية **«لم يكن من مانع حينئذ لشفاء تلك الابنة سوى عدم إرادته لم أرسل أى من الأب إلا إلى خراف بنى إسرائيل»**.

ويظهر من هذا أن وظيفة المسيح كانت مختصة باليهود والله قضى بأن ينادى بالإنجيل لليهود أولا إيمانًا للعهد، وشفقة المسيح على اليهود حصرت تبشيره بهم فلو نادى للأمم أيضًا لرفض اليهود كلهم ذلك فى الحال لشدة تعصبهم فجواب المسيح لتلاميذه ليس إنكارًا قاطعًا لطلبتهم لكنه إظهار لأن إجابة تلك الطلبة خارج عن دائرة مرسليته حينئذ [١].

وما كاد يعترف بالحق حتى تنكب الطريق وقال فى نهاية تفسيره «حينئذ» ليدل على أن دعوة شعب إسرائيل كانت مرحلة مؤقتة تلتها مرحلة أخرى وهى دعوة المسيح لجميع الأمم بعد ذلك.

والنص الذى بين أيدينا لا يساعده في فهمه - ولكن التحكم فى النصوص هو الذى يسيطر على هذا المفسر وغيره حتى يخلص إلى عالمية الملة النصرانية التى ما نادى بها المسيح ولا تلاميذه على نحو ما سنرى.

وتقول رواية «متى» إن المرأة أتت وسجدت له قائلة يا سيد أعنى فأجاب وقال ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب فقالت: نعم يا سيد والكلاب أيضًا تأكل من الفتات الذى يسقط من مائدة أربابها حينئذ أجاب يسوع وقال لها يا امرأة عظيم إيمانك ليكن لك ما تريدين فشفيت ابنتها من تلك الساعة» [٢].

(١) الكنز الجليل ج١ ص ٢٥٦ .

(٢) انظر إنجيل متى الإصحاح ٢٨/٢٥ .

وهذه الرواية إن صحت فلا يعنى أنه دعاها إلى الإيمان برسالته، كل ما فى الأمر أنه شفى ابنتها، وعلى فرض أنه دعاها إلى رسالته فلا يعنى ذلك عموم دعوته؛ لأن «**المبعوث إلى قومه لم ينه عن دعاء غيره إلى الله وهو من باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر**» [١] لا من باب التكليف بإيصال الدعوة إلى غير من أرسل إليهم.

رابعًا: ومن النصوص التى تدل على أن عيسى عليه السلام جاء لبنى إسرائيل وأن تلاميذه كانت دعوتهم خاصة باليهود ما ورد فى إنجيل «متى» عن حساب يوم القيامة وقيام المسيح وتلاميذه بالمحاسبة كما يعتقد النصارى يقول «متى»: «**ومتى جلس الإنسان على كرسى مجده تجلسون أنتم أيضًا على اثنى عشر كرسيا تدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر**» [٢].

بنفس منطق إنجيل «متى» مع عدم اعتقادنا بمحاسبة المسيح لأحد ولا التلاميذ لأن الذى يتولى الحساب هو الله رب العالمين. نقول نص «متى» يشير إلى أن المسيح والتلاميذ عن يمينه يدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر- الذين يتكون منهم الشعب اليهودى [٣] ولو كانت رسالته للعالم لأدان الناس جميعًا؟؟

وبالرغم من الوضوح فى الخصوصية بأسباط إسرائيل الاثنى عشر فإن مفسر إنجيل «متى» يأتينا بفهم جديد للأسباط وأنهم ليس المراد بهم فى العهد الجديد بنى إسرائيل وإنما كل المؤمنين يقول «**أسباط إسرائيل الاثنى عشر فى العهد القديم شعب الله الخاص، ومعناه فى العهد الجديد غالبا كل**

(١) انظر شرح العقائد النسفية للتفتازانى ج١ ص١٩٠ .
(٢) متى الإصحاح ١٩/ ٢٧/ ٢٨ .
(٣) الميزان في مقارنة الأديان ص ٢٨٧ .

المؤمنين [١] .

وقد اضطر إلى ذلك التفسير المخالف للمتعارف عليه بين الجميع- من أن الأسباط هم بنو إسرائيل- فذكر أن كلمة الأسباط فى العهد الجديد «**غالبا**» تدل على كل المؤمنين- فذكر كلمة «**غالبا**» ليتسنى له إثبات أن التلاميذ يدينون أسباط بنى إسرائيل الاثنى عشر [٢] الذين معناهم فى العهد الجديد كل المؤمنين؟؟ هل رأيت تحكما وليا للنصوص مثل ما يقوم به مفسر الإنجيل ليدلل على أن الدعوة عامة وليست خاصة . .؟ كل هذا لحساب «**بولس**» فقط لأنه هو أول من ابتدع عموم دعوة المسيح لغير اليهود مخالفا المسيح عليه السلام والتلاميذ فى فهمهم للدين الذى تلقوه عن المسيح عليه السلام .

خامسًا : وإذا تركنا إنجيل «**متى**» فإننا سنجد التصريح بخصوصية رسالة عيسى واضحة من خلال بعض النصوص فى إنجيل «**يوحنا**» .

ورد فى «**يوحنا**» : إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله [٣] يقول مفسر العهد الجديد «**إن ذريته الخاصة شعب إسرائيل لم تقبله**» [٤] ونحن مع المفسر فى أنه جاء إلى بنى إسرائيل، وكثير منهم لم يقبلوه وإن كان البعض منهم قد آمنوا برسالته والتزموا بتعاليمه . وليس معنى أنه لم يقبل من شعبه وإنما قبل من غيرهم أن هذا يجعل رسالته عامة وإنما قبول

---

(١) الكنز الجليل في تفسير الإنجيل ج١ ص٣٢٩ .

(٢) انظر تضارب روايات الإنجيل حول محاسبة الناس يوم القيام من قبل المسيح والتلاميذ في كتابنا اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام - الطبعة الثانية دار الوفاء .

(٣) يوحنا الإصحاح الأول ١٠/ ١١ .

(٤) تفسير العهد الجديد في مجلد واحد ص ٢٣٤ .

غيرهم له ولرسالته لا يخرج دعوته من الخصوصية إلى العمومية. ثم لنا أن نتساءل فى أى وقت قبل غير اليهود دعوة المسيح؟

إن نصوص الأناجيل لا تقدم لنا أى دليل على قيام عيسى عليه السلام بدعوة غير اليهود إلى الإيمان به، والتصديق برسالته أثناء حياته ولكن بولس يبنى ذلك على رؤياه الخاصة حتى الذين ناصبوه العداء ووقفوا ضده حين أخبرهم المسيح أنه سيغادر الدنيا لم يفهموا أنه يشير إلى الرفيق الأعلى وإنما فهموا أنه سيغادر مكانهم إلى حيث يعيش اليهود فى الشتات خارج فلسطين لأنهم بالطبع كانوا يفهمون أن رسالته خاصة بهم دون سواهم من الشعوب فلو فكر فى دعوة غيرهم فأول ما تبادر إلى ذهنهم اليهود فى الشتات ورد فى «يوحنا»: فقال لهم يسوع أنا معكم زمانا يسيرا بعد ثم أمضى إلى الذى أرسلنى ستطلبوننى ولا تجدوننى وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا فقال اليهود فيما بينهم إلى أين هذا مزمع أن يذهب حتى لا نجده نحن ألعله مزمع أن يذهب إلى شتات اليونانيين ويعلم اليونانين [١].

وهنا إشارة إلى أن اليهود لم يفهموا كلامه أو عوجوه وقالوا إن معناه الهرب من البلاد إلى حيث يعيش اليهود متفرقين بين اليونانيين [٢].

ولعل إيراد هذا النص يخدم قضيتنا فيما بعد- حين نرصد عمل تلاميذ المسيح خارج فلسطين أنهم ما خرجوا لينشروا تعاليم المسيح لغير بنى إسرائيل وإنما البلاد التى ذهبوا إليها إنما كانت لنشر الدعوة بين اليهود فى الشتات، ومعلوم أن اليهود كانوا يعيشون فى مدن كثيرة خارج فلسطين. مكان دعوة المسيح عليه السلام.

---

(١) يوحنا ٧/ ٣٣/ ٣٦ .

(٢) تفسير العهد الجديد ص٢٣٤ .

المبحث الثانى

تلاميذ المسيح ومدى التزامهم بخصوصية رسالة عيسى عليه السلام لبنى إسرائيل

يشير القرآن الكريم إلى الذين آمنوا بعيسى عليه السلام وصدقوا برسالته وقاموا بواجب الدعوة معه. ويسميهم بالحواريين قيل سموا حواريين لخلوص نياتهم ونقاء أسرارهم، وقيل لما هم عليه من آثار العبادة وأنوارها [١]. ومعلوم أن الحور فى اللغة البياض، وحورت الثياب بيضتها يقال فلان حوارى فلان أى صفوته وخالصته والحوارى الناصر [٢].

وقد ورد ذكرهم فى القرآن الكريم فى أكثر من سورة. منها على سبيل المثال سورة آل عمران فى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران :٥٢-٥٣] .

إن تعظيم الحواريين لا نزاع فيه وأنهم من خواص عباد الله الذين آمنوا بعيسى عليه السلام ولم يبدلوا دينه ولم يغيروه وكانوا مبشرين بنبينا محمد ﷺ. فكانوا الصفوة المختارة من أصحاب عيسى الذين يحملون الأمانة من بعده ويبلغونها لبنى إسرائيل، ويبدو أنهم كانوا على درجة عالية من

(١) تفسير أبي السعود ج١ ص٣٦٧ .
(٢) تفسير القرطبي ج٤ ص٩٨ . وانظر مختار الصحاح ص١٥٤ دار الكتب العلمية .

الإيمان واليقين فقد دعوا الله أن يكتبهم مع الشاهدين لدينه أى أن يوفقهم ويعينهم للجهاد فى سبيل تحقيق منهجه فى الحياة وهو دعاء جدير بأن يتأمله المسلمون (١).

ومن خلال حديث القرآن الكريم عنهم فى سورة الصف يتضح أنهم على درجة عالية من الإيمان ونصرة دين الله. الأمر الذى جعلهم موضع القدوة والأسوة لأتباع محمد ﷺ فى جانب الجهاد والصبر على الإيذاء يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ [الممتحنة :١٤] .

وكعادة القرآن الكريم ومنهجه فى استنباط العظات من قصص أصحاب المواقف الإيمانية الذين وردت فيه قصصهم لم يحدد أسماءهم كأهل الكهف ولا عددهم أيضا ولكن وجدنا الأناجيل الحالية- تحدد أسماءهم وعددهم ووصايا المسيح لهم وتكليفهم بمهام الدعوة.

ونحن لا نحدد أسماء الحواريين ولا عددهم اقتداء بالقرآن الكريم وسنة النبى ﷺ. ومقياسنا فى الحكم عليهم القرآن الكريم بمعنى إذا وردت أفعال أو أقوال منسوبة إلى أحد منهم فى روايات الأناجيل عرضنا تلك الأقوال والأفعال على القرآن الكريم فإذا اتفقت معه قبلناها وحكمنا لصاحبها بالصدق أما إذا خالفت القرآن الكريم رفضناها.

فالقرآن الكريم هو المحور الذى نرتكز عليه ونحتكم إليه فى كل ما يرد عن المسيح وتلاميذه ودعوتهم ونحن إذ نركز على هذا الجانب لأن

(١) انظر ظلال القرآن ج١ ص٤٠٢ .

الأناجيل أوردت أسماء الحواريين وأوردت بعض أعمالهم- وأقوالهم ونحن نقيس هذه الأقوال والأعمال بالميزان الإسلامى فما وافق التصور الإسلامى قبلناه وما خالفه رفضناه.

ورد فى «متى» عن تلاميذ المسيح عليه السلام الآتى **«وأما أسماء الاثنى عشر رسولا فهى هذه الأول سمعان الذى يقال له بطرس وأندراوس أخوه يعقوب بن زبدى ويوحنا أخوه فيلبس، وبرثولماوس توما، ومتى العشار يعقوب بن حلفى، ولباوس الملقب تداوس. سمعان القانونى ويهوذا الإسخريوطى الذى أسلمه»** (١).

هذه القائمة بأسماء الاثنى عشر تختلف عن القائمة التى وردت فى إنجيل لوقا (٢) ولا يعلق شراح الأناجيل تعليقًا واحدًا على هذا الاختلاف، وكأن الأمر لا يعنيهم فى قليل ولا كثير، ونحن من جانبنا نؤكد أن هذا الاختلاف يوضح التلاعب البشرى الذى أدخله كُتاب الأناجيل. على تعاليم المسيح عليه السلام والذى يهمنا رصده هو أن بعضا من الأسماء التى قال عنها النصارى بأنهم تلاميذ المسيح قاموا بواجب تبليغ الدعوة - لبنى إسرائيل لاعتقادهم أن الرسالة خاصة باليهود فقط حتى إن من دعا منهم غير اليهود واختلط بهم تعرض لكثير من اللوم والعتاب من زملائه بسبب مخالفته لتعاليم المسيح بقصر الدعوة على بنى إسرائيل.

وسوف نتتبع عمل التلاميذ منذ البداية.

---

(١) متى ١٠/ ٢ - ٥ .

(٢) انظر لوقا ٦/ ١٣ - ١٦ .

وصية المسيح لتلاميذه بدعوة بنى إسرائيل:

أوردت الأناجيل الوصايا المتعددة التى وصى بها المسيح تلاميذه والتى على رأسها نشر الدعوة بين اليهود فى مدنهم وقراهم.

أولًا: ورد فى «متى»: «**ومتى طردوكم فى هذه المدينة فاهربوا إلى الأخرى فإنى الحق أقول لكم لا تكملون مدن إسرائيل حتى يأتى ابن الإنسان**»[(١)].

فمهمتهم مدن إسرائيل لا يتجاوزونها.

وإذا كانت عودة المسيح على حد زعم إنجيل «متى» بهذه السرعة إلى درجة أنه يقول قبل أن تكملوا الدعوة فى مدن إسرائيل سيأتى ابن الإنسان «**فكيف يمكن الحديث بعد ذلك عن التبشير بين أمم العالم والتكريز بالإنجيل للخليقة كلها؟ إن الإجابة على هذا السؤال واضحة تماما، وهى تتفق وما سبق بيانه من أن دائرة التبشير المسيحى الحقيقى لا تتجاوز بنى إسرائيل**»[(٢)] وهذه حقيقة تنطق بها الأناجيل والواقع يؤيدها باستثناء بعض النصوص التى وردت فى الأناجيل تنادى بعالمية النصرانية - والتى سيكون لنا معها وقفة متأنية تبين مصادرها وحقيقة أمرها، وزيفها أيضًا.

ثانيًا: ومما يؤكد خصوصية رسالة عيسى عليه السلام لبنى إسرائيل ما أورده إنجيل «**يوحنا**» من وصية المسيح لأحد تلاميذه وهو بطرس «**فبعد ما تغدو قال يسوع لسمعان بطرس يا سمعان بن يونا أتحبنى أكثر من هؤلاء قال له نعم يا رب أنت تعلم أنى أحبك قال له ارع خرافى قال أيضًا ثانية يا سمعان بن**

---

(١) متى الإصحاح ١٠/ ٣٤.

(٢) حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ص ٢٠.

يونا أتحبنى قال له نعم إنى أحبك قال له ارع غنمى قال له ثالثة يا سمعان بن يونا أتحبنى فقال له يا رب أنت تعلم كل شيء أنت تعرف أنى أحبك قال يسوع ارع غنمى» (١).

يقول أحد مفسرى العهد الجديد: «**فكأن السيد يقول إننى أنا الراعى العظيم منطلق عما قريب فأظهر محبتك لى بعنايتك بالذين أفارقهم**» (٢).

نلاحظ أن الوصية كانت بالذين بعث فيهم عيسى- لا غيرهم وهذا دليل يضاف إلى الأدلة الأخرى التى قدمناها بأن غنمه وخرافه هم اليهود ويقال إن بطرس على ما ترويه الأناجيل وأعمال الرسل قام بما كلف به من رعاية التلاميذ من ناحية، وتوصيل الدعوة إلى اليهود من ناحية أخرى.

ثالثًا: ورد فى أعمال الرسل- السفر الذى كتبه «**لوقا**» رصد لبعض الأعمال الدعوية التى قام بها بطرس مع اليهود «**فوقف بطرس مع الأحد عشر ورفع صوته وقال لهم أيها الرجال اليهود والساكنون فى أورشليم. أجمعون ليكن هذا معلوما عندكم واصغوا إلى كلامى**) (٣).

هنا بطرس يخاطب اليهود لا غير.

وورد فيه أيضًا «**أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال**» (٤).

وقد اشتمل هذا السفر على كثير من النداءات من قبل بطرس لليهود والإسرائيلين فقط.

فبطرس وإخواته لم يفهموا أبدا من دعوة المسيح ولا وصاياه أن

---

(١) إنجيل يوحنا ٢١/ ١٥ - ١٧.
(٢) تفسير العهد الجديد ص٢٨٠.
(٣) أعمال الرسل ٢/ ١٤- ١٥.
(٤) أعمال الرسل ٢/ ٢٢.

يخرجوا عن طبيعتها وبيئتها اليهودية إلى غيرها من الأمم- يقول شارل جينبير: «**كانت الجماعة الأولى من المؤمنين بعيسى فى القدس جماعة يهودية صرفة وليس لدينا ما يدعو للشك فيما ترويه أعمال الرسل بهذا الشأن وكان أعضاء هذه الجماعة لا يفترقون عن اليهود الآخرين الأتقياء إلا فى إيمانهم بأن عيسى الناصرى قد شرفه الله فجعل منه مسيحًا وأنه قد تحققت به الآمال. ولا يمكننا أن نتصور أنهم اتجهوا من أنفسهم إلى تبشير المشركين بعقيدتهم فلم يكن ذلك بالنسبة إليهم عملًا ذا معنى**» [١] لماذا؟ لأنهم لم يأمروا به.

وكلام «جينبير» كلام الخبير بالديانة المسيحية المتعمق فى دراسة تطورها خاصة بعد رفع المسيح - عليه السلام - وسوف يقدم لنا تحليلات قيمة، عميقة عن التطور الذى لحق بالنصرانية فحولها من ديانة خاصة لبنى إسرائيل إلى ديانة عالمية كل ذلك على يد «بولس» الذى سيحظى بكثير من الدراسة والتحليل من «**شارل جينبير**» ومنا أيضًا فى خلال هذا البحث لنثبت أن عالمية النصرانية بدعة من بدع «**بولس**» وأن كُتاب الأناجيل تأثروا به ونواصل رصدنا «**لبطرس**» ودعوته ونسجل أقواله الواردة فى الأناجيل وأعمال الرسل والتى تنطق بخصوصية دعوته كتنفيذ لوصية المسيح على نحو ما ورد فى الأناجيل.

ورد فى سفر أعمال الرسل ما ينسب إلى بطرس «**الكلمة التى أرسلها إلى بنى إسرائيل يبشر بالسلام بيسوع المسيح**» [٢] هنا الدلالة واضحة إلى إسرائيل فقط لا غيره وورد فى نفس السفر عنه «**وأوصانا أن نكرز للشعب**» [٣] أى

(١) المسيحية نشأتها وتطورها ص١٣ .
(٢) أعمال الرسل ١٠/ ٣٧ .
(٣) أعمال الرسل ١٠/ ٤٣ .

اليهودى فلا شعب غيره أمر بطرس وزملاءه أن يدعوهم - وقد حفظ بطرس والتلاميذ الوصايا وتواصوا على عدم الإخلال بها أو التفريط فيها .

وهناك بعض النصوص الواردة فى سفر أعمال الرسل تطلعنا على خصام وقع بين بطرس وزملائه بسبب دخول بطرس عند غير اليهود على إثر استدعائهم له- وتوقفنا المحاورة بين بطرس والذين دخل عندهم من ناحية وبينه وبين إخوانه من ناحية أخرى- على كبر اختلاط اليهودى بغير اليهود وعلى اعتذار بطرس وتفسيره لما حدث بأنه لم يذهب من تلقاء نفسه وإنما استدعى لكى يقابل بعض الأمميين الذين كان لهم سلطان وسطوة آنذاك .

ولنقرأ ما حدث فهو يؤكد لنا أن الدعوة خاصة باليهود فقط وأن أى واحد من التلاميذ لو فكر بأن يخرجها عن إطار الإسرائيليين فإنه يكون قد خان العهد ونقض الميثاق . . . ورد فى سفر أعمال الرسل :

ولما دخل بطرس استقبله كرتيليوس وسجد واقفًا على قدميه فأقامه بطرس قائلا قم أنا أيضا إنسان ثم دخل وهو يتكلم معه ووجد كثيرين مجتمعين فقال لهم أنتم تعلمون كيف هو محرم على رجل يهودى أن يلتصق بأحد أجنبى أو يأتى إليه وأما أنا فقد أرانى الله أن لا أقول عن إنسان ما إنه دنس أو نجس فلذلك جئت من دون مناقضة إذ استدعيتمونى»[1]

وهذا النص نلاحظ فيه أن بطرس يذكر الذين استدعوه للقائهم بحرمة اختلاطه أظنها بغير اليهود ويبدو أن هذا الأمر كان معلومًا لديهم- وهو أى بطرس يركز على استدعائهم له ربما ليخرج نفسه من دائرة الحرج الواقع

(١) أعمال الرسل ١٠/ ٢٤/ ٢٩ .

فيها لو أنه ذهب هو إليهم- ثم نراه بعد ذلك ينسب أمر تلبية ندائهم إلى نفسه بعد أن أراه الله ذلك .

كل هذا لأنه ليس معلوما ولا مشهورا لا عند بطرس، ولا عند غيره دعوة الأمم، ولذلك نراه يجتهد فى إثبات أنه لم يأت من نفسه وإنما استدعى ثم بنى دعوته لهم على أساس اجتهادى ولم ينسبه إلى المسيح .

وبالرغم من كل هذا فإن العتاب قد حدث والمؤاخذة قد وقعت لا لشيء إلا لأن بطرس دخل عند غير اليهود فبماذا يفسر هذا؟

يفسر هذا على أن دعوة الأمم كانت غير جائزة فى نظر التلاميذ ورد فى سفر أعمال الرسل «**فسمع الرسل والأخوة الذين كانوا فى اليهودية أن الأمم أيضا قبلوا كلمة الله ولما صعد بطرس إلى أورشليم خاصمه الذين فى الختان قائلين إنك دخلت إلى رجال ذوى غلفة وأكلت معهم فابتدأ يشرح لهم** [١] .

والتساؤل هنا: لو كان المسيح أوصاهم بدعوة الأمم أكانوا يخاصمون بطرس ويحتجون عليه؟ ترى أكان هناك مبرر لهذا التعجب والاستغراب لأن يعطى الله الأمم أيضا التوبة للحياة؟ ألم يكن من أيسر الأمور إذا سمعوا بما كان من بطرس أن يذكرهم ذلك بفعل أو قول من المسيح بإباحته والقبول به؟ أو كان يذكرهم به بطرس إن كانوا قد نسوه لو كان له من أصل يعلمه ويعلمونه ولا يدعيه لنفسه ويبنيه على اجتهاده إن كان المسيح قد قال بدعوة الأمم فلماذا يختصمون إذن؟ وكيف يفوت بطرس وإخوانه أن المسيح نادى بذلك [٢] والحق أن المسيح لم يدع غير اليهود

(١) نفسه ١١/ ١ - ٤ .

(٢) انظر عقائد النصارى الموحدين ص٩٦/ ٩٧ - حسني يوسف يوسف الأطير - نشر دار الأنصار ١٩٨٦ .

إذ إنه مرسل إليهم وهو منفذ لتعاليم الله، وأيضا الحواريون لم يفهموا، ولم يدعوا أحدا غير اليهود لقد كان هؤلاء التلاميذ الذين خاصموا بطرس شديدى التمسك بدعوة المسيح وحتى عندما اضطروا إلى مغادرة أرض الرسالة فلسطين فإنهم ذهبوا إلى الأماكن التى يعيش فيها اليهود خارج فلسطين ليبشروا فيها بتعاليم المسيح بين بنى جلدتهم الذين يعيشون فى الشتات أو المنفى وإذا نسبت الأناجيل إلى أحد من التلاميذ دعوة الأمم أو الدعوة إلى تأليه المسيح نعلم أن هذا كذب وأن الذي قام به ليس من الحواريين الذين أثنى عليهم الله عز وجل فى القرآن الكريم.

* * *

المبحث الثالث

بولس- وعالمية النصرانية (بداية الانحراف)

فى أثناء تتبعنا لرسالة عيسى عليه السلام - لاحظنا كيف كانت دعوته منصبة على بنى إسرائيل لم تتعداهم إلى غيرهم وعلى نفس المنهج سار التلاميذ على نحو ما أوضحنا ولكن بعد رفع المسيح عليه السلام «**وجد من حمل رسالته إلى الرومان وغير الرومان أى تجاوزوا بها بنى إسرائيل مهدها الأول الذى نشأت فيه ولكن من الحق أيضا أن دعاتها الأولين لم يخطر لهم أن يجعلوها رسالة عامة للبشر جميعًا وها هى حياتهم وسيرتهم تشهد على هذا**[١].

فمن الذى حول تلك الرسالة وخرج بها عن طبيعتها من جهة وأضاف إليها ما ليس منها من جهة أخرى؟ إنه:

«**بولس**» أو «**شاول**» كما يشار إليه أحيانًا فى الأناجيل وسفر أعمال الرسل. لقد اعتبر مؤسس المسيحية فلا يزال يسود على اعتقاد المؤمنين ويقود عباداتهم فى كل أقطار العالم. كما يذكر قاموس الكتاب المقدس؟ كان بولس يهوديا متشددا فى يهوديته. يقف بكل ما أوتى من قوة أمام رسالة المسيح وضد تعاليمه وتلاميذه.

وقد أورد سفر أعمال الرسل[٢] الأعمال الشريرة التى كان يقوم بها، ولم يكتف بمهاجمتهم فى أورشليم بل لاحقهم فى خارجها وفى كل ذلك

---

(١) انظر بتصرف: الإسلام وحاجة الإنسانية إليه ص ٥٣ - الدكتور - محمد يوسف موسى.
(٢) انظر أعمال الرسل ٨ - ٣، ٢٢/ ٤، ٢٦/ ١٠، ١١ .

يظن أنه يؤدى خدمة الله والناموس [١] ولكن بعد كل هذه الأعمال سوف نجد له شأنا آخر مع النصرانية التى حولها من ديانة محلية خاصة لبنى إسرائيل كما أرادها الله وكما أرسل رسوله عيسى عليه السلام من أجلهم إلى ديانة عالمية تشمل الرومان واليونان وغيرهم، ثم كان له شأن آخر حين أدخل عليها ما ليس منها من أفكار وثنية ممثلة فى الصلب، وتأليه المسيح ولنتتبع تحوله منذ البداية.

سفر بولس إلى دمشق:

لقد سافر إلى دمشق فى مهمة خاصة لتتبع الرجال والنساء من بنى إسرائيل الذين آمنوا برسالة عيسى عليه السلام حتى يأتى بهم موثقين إلى أورشليم ورد فى سفر أعمال الرسل «**أما شاول فكان لم يزل ينفث تهددا وقتلا على تلاميذ الرب فتقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات حتى إذا وجد أناسًا من الطريق رجالًا ونساء يسوقهم موثقين إلى أورشليم**» [٢].

يقول أحد مفسرى العهد الجديد إن بولس كان موافقًا لليهود على اضطهاد المسيحيين وصار عاملا نشيطا فى ذلك الاضطهاد» [٣].

وينشط علماء تاريخ الأديان فى فهم طبيعة المهمة التى سافر من أجلها إلى دمشق فرواية «**لوقا**» فى سفر أعمال الرسل تقول إنه تقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى الجماعات يقول أحد هؤلاء الباحثين هذه

(١) قاموس الكتاب المقدس ص١٩٧ .
(٢) أعمال الرسل الإصحاح ٩/ ١- ٢ .
(٣) تفسير العهد الجديد ٣٠٩ .

الرواية نفسها تثير مشاكل عدة منها أن سلطة رئيس الكهنة فى أورشليم لا تشمل الجماعات التى أراد بولس أن يذهب إليها فى دمشق، والقريب من الصواب أن يكون بولس أوفد فى مهمة سرية لخطف بعض المسيحيين المتمردين على سلطة الكاهن الأكبر، وكانت معه عصابة من القتلة المأجورين لكنه لم يكن يحمل رسائل رسمية من الكاهن الأكبر.

إن رواية أعمال الرسل قد حولت مهمة بولس من طبيعتها السياسية إلى طبيعة دينية (١).

إن ما حدث أثناء مهمته سواء أكانت سياسية أو دينية كانت البداية لبولس فقد زعم أن المسيح ظهر له وطلب منه أن يكف عن اضطهاده. يذكر سفر أعمال الرسل عن هذه الحادثة ما نصه: وفى ذهابه حدث أنه اقترب إلى دمشق فبغتة أبرق حوله نور من السماء فسقط على الأرض وسمع صوتا قائلا شاول. شاول لماذا تضطهدنى؟ فقال من أنت يا سيد؟ فقال الرب: أنا يسوع الذى أنت تضطهده صعب عليك أن ترفس مناخس فقال وهو يرتعد ومتحير- يا رب ماذا تريد أن أفعل فقال له الرب قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغى أن تفعل، وأما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون أحدا فنهض شاول عن الأرض وكان وهو مفتوح العينين لم يبصر أحدا فاقتادوه بيده وأدخلوه إلى دمشق وكان ثلاثة أيام لم يبصر فلم يأكل ولم يشرب (٢).

وهذه الرواية تحتاج إلى تمحيص وتدقيق لأنه لما كانت هذه الحادثة

---

(١) انظر بولس وتحريف المسيحية ص ٣٨/ ٣٩/ ٤٠ .
(٢) أعمال الرسل ٩/ ٣ - ٩ .

تعد الأساس الوحيد الذى بنى عليه بولس إعلانه قبول المسيحية ثم اختياره رسولا من المسيح للتبشير بها كان من اللازم تمحيصها حتى نتبين حقيقة الأمر.

والرواية السابقة ذكرت على لسان لوقا [١] بينما هناك رواية أخرى للحادثة ذكرت على لسان بولس.

١- **فى الرواية الأولى**: الذين كانوا مع بولس سمعوا الصوت، ووقفوا صامتين ولكنهم لم ينظروا أحدا.

وفيها أن بولس فقد عينيه ولذلك اقتادوه وأدخلوه إلى دمشق.

٢- **فى الرواية الثانية**: وردت نفس الحادثة عن بولس نفسه أى بروايته هو- وفيها «**فحدث وأنا ذاهب إلى دمشق أنه نحو نصف النهار بغتة أبرق حولى من السماء نور عظيم فسقطت على الأرض وسمعت صوتا قائلا لى شاول شاول لماذا تضطهدنى؟. والذين كانوا معه نظروا النور وارتعبوا ولكنهم لم يسمعوا الصوت الذى كلمنى فقلت لك أن تفعل وإذ كنت لا أبصر من أجل بهاء ذلك النور اقتادنى بيدى الذين كانوا معى فجئت إلى دمشق** [٢].

هذه الرواية فيها مفارقات عجيبة.

فالذين معه لم يسمعوا الصوت بعكس الرواية الأولى فهى تثبت أنهم سمعوا الصوت والذين معه فى تلك الرواية أبصروا النور- عكس الأولى- التى تثبت أنهم لم ينظروا أحدا.

٣- **الرواية الثالثة**: وردت على لسان بولس أمام الملك أغريباس

(١) قاموس الكتاب المقدس ص ١٩٩ .
(٢) أعمال الرسل ٢٢/ ٦ - ١١ .

يقول: ولما كنت ذاهبا فى ذلك إلى دمشق بسلطان ووصية من رؤساء الكهنة رأيت فى نصف النهار فى الطريق أيها الملك نورا من السماء.

ورد فى رسالته إلى أهل غلاطية «**ثم بعد أربع عشر سنة صعدت أيضا إلى أورشليم مع برنابا آخذا معى تيطس أيضا وإنما صعدت بموجب إعلان وعرضت عليهم الإنجيل الذى أكرز به بين الأمم ولكن بالانفراد على المعتبرين لئلا أكون أسعى أو سعيت باطلا**» [(١)]. وفى تقديرنا أنه لم يكن حريصا على التأكد من صحة ما يدعو إليه من خلال عرضه على التلاميذ.

ما طبيعة هذا الإنجيل وما محتواه يقول جينبير عن بولس وعلاقته بهذا الإنجيل إنه «**مدين له أى الإنجيل بالكثير من الإلهامات الخاصة ومن الإيحاءات التى نبعت عن طريق تأديته لرسالته وإن ما تلقاه لهو رصيد عقيدته وإيمانه تلقاه من الذين صاغوه ولو بغير إدراك منهم للأمر فى الصورة التى استطاعت أن تؤثر فيه وتسيطر عليه وهو ما سوف يعمل بدوره فى نشاط لا يقهر على التبشير به ونشره مع الإفاضة فى شرحه للدين الذى أتى به. دين بكل معنى الكلمة. دين خلاص. دين عالمى**» [(٢)].

إذن هو عنده شىء منفرد به ليس امتدادًا لدين عيسى عليه السلام وهذا سوف يتضح من خلال الخلافات المتعددة التى ظهرت بينه وبين التلاميذ حول الخروج برسالة عيسى عليه السلام إلى غير بنى إسرائيل فقد كان تبشير بولس بين غير اليهود أحد المشاكل المهمة بينه وبين التلاميذ.

* * *

(١) رسالة بولس إلى أهل غلاطية الإصحاح ٢/ ١- ٢.
(٢) المسيحية نشأتها وتطورها ص ١٢٨.

الخلاف بين بولس وتلاميذ المسيح وأسبابه:

بعد أن صعد إلى أورشليم بعد الفترة الطويلة التى قضاها مبشرا بين الأمم وقد حددها بأربع عشرة سنة التقى بالتلاميذ ليعرض عليهم إنجيله الذى يكرز به ويبدو من خلال مناقشاته معهم أنه حدث خلاف بينه وبينهم حول الذين أدخلهم بولس فى المسيحية ولم يختتنوا حسب شريعة موسى عليه السلام مما سبب استياءً من التلاميذ وإصرارهم على ختان من يدخل فى المسيحية يعرض «جينبير» طبيعة الخلاف وأسبابه بين بولس والتلاميذ.

يقول: «كان لابد أن يأتى إلى الإيمان الجديد وفود من المشركين البسطاء فهل للمبشرين بالمسيحية أن يقبلوهم فيها ويعدوهم بنصيب فى مملكة الله؟ هل يصبح هؤلاء الأجانب الذين يجهلون شريعة موسى أصحاب حق فى ميراث يهوه؟ لا غرابة أن نرى الحواريين الاثنى عشر وهم الذين أشربوا بتعاليم عيسى وظلوا على يهوديتهم العميقة يستنكفون كثيرا من مثل هذه النتائج التى توصل إليها بولس ويبدون أمامها ترددا قويا إلا أنه فرضها عليهم فرضا إذ استطاع إيجاد البراهين المقنعة بشأنها معتمدًا على أوجه النجاح التى لمسها خلال رحلته التبشيرية الأولى فى ربوع آسيا الصغرى» (١).

وحدثت محاولة توفيقية بين التلاميذ وبولس مؤداها أن دعوة بولس أثارت اليهود المتمسكين بشريعة موسى ولذلك وجب أن يعتذر بولس

---

(١) المسيحية نشأتها وتطورها ص ١٢٨ .

عما بدر منه وذلك بإعلانه على الملأ التزامه بشريعة موسى ويتمثل ذلك فى الالتزام أمام الجميع بما اقترحه عليه نصارى القدس بعرض هذا الخلاف وإنهائه على النحو التالى فى سفر أعمال الرسل «**فبعد ما سلم عليهم طفق يحدثهم شيئا فشيئا بكل ما فعله الله بين الأمم بواسطة خدمته فلما سمعوا كانوا يمجدون الرب، وقالوا له أنت ترى أيها الأخ كم يوجد ربوة من اليهود الذين آمنوا وهم جميعا غيورون للناموس وقد أخبروا عنك أنك تعلم جميع اليهود الذين بين الأمم الارتداد عن موسى قائلا أن لا يختنوا أولادهم ولا يسلكوا حسب العوائد فإذًا ماذا يكون؟ لابد على كل حال أن يجتمع الجمهور لأنهم سيسمعون أنك قد جئت فافعل هذا الذى لك عندنا أربعة رجال عليهم نذر، خذ هؤلاء وتطهر معهم وأنفق عليهم ليحلقوا رؤوسهم فيعلم الجميع أن ليس بشىء بما أخبروا عنك بل تسلك أنت أيضًا حافظا للناموس**» [(١)].

وحول استجابة بولس لما طلب منه يذكر سفر أعمال الرسل «**حينئذ أخذ بولس الرجال فى الغد وتطهر معهم ودخل الهيكل مخبرا بكمال أيام التطهر إلى أن يقرب عن كل واحد منهم القربان**» [(٢)] واستجابة بولس لنصارى القدس- ليس رجوعا عن عقيدته وإنما مناورة اضطر للاستجابة لهم، وإلا فإنه بعيدا عنهم كان ينادى بنفس الأفكار وبعد مغادرته لهم لم يغير من مواقفه وهذا الأمر يعبر عنه أحد الباحثين الغربيين فى تاريخ الأديان بقوله: «**إن موقف بولس كان فى منتهى الخسة والدناءة لأنه بعيدًا عن القدس يعلن أن شريعة التوراة نسخت بدعوته التى تلقاها من المسيح، وأمام نصارى القدس**

(١) أعمال الرسل ٢١/ ٢٠/ ٢٥ .
(٢) أعمال الرسل٢١/ ٢٦ .

يرضخ لمطالبهم ويعلن الالتزام بشريعة التوراة لكى يمرر المواقف إن خسة بولس وحربائيته أمام الناس تعودان إلى جبنه. كان فى روما يعلن على الملأ بأنه لا يتلق تعليمه من أحد إلا من المسيح ثم هاهو يتراجع عن آرائه لأنه لم يكن خائفًا من ردة فعل الزعماء وحدهم بل كان خائفا من ردة فعل نصارى القدس الذين هددوا بقتله- لقد عرف بولس أنه ارتكب خطأً جسيمًا بمجيئه إلى القدس ولكى يخرج منها سليما كان عليه الرضوخ والليونة» [١].

إذن فالخلاف بين بولس والتلاميذ كان حول التمسك بشريعة اليهود التى جاء عيسى عليه السلام بها ولقد كان التلاميذ من أحرص ما يكون على الالتزام برسالة المسيح وهناك أمثلة متعددة على اختلافه مع تلاميذ المسيح بل وتشاجره معهم ووصفه إياهم بالكذب منها:

١- تشاجره مع «برنابا» [٢] نظرًا لنظرة بولس الخاصة إلى الأمور المتعلقة بالدعوة، ولم يتورع «بولس» من أن يخاصمه على الرغم من أن «برنابا» هذا هو الذى أخذه وعرفه بالتلاميذ ولولا «برنابا» ما وثق أحد، بشاول ومع كل هذا تشاجر معه بولس وانفصل عنه ليبشر بالمسيحية التى قبلها وفق مفهومه الخاص [٣].

ورد فى أعمال الرسل عن المشاجرة التى حدثت بين «برنابا» و «مرقس»

---

(١) بولس وتحريف المسيحية ص ٧٨/ ٧٩ .

(٢) ورد في إنجيل برنابا أن سبب كتابته لإنجيله ما رآه من أن البعض بشروا بتعليم شديد الكفر داعين المسيح ابن الله ورافعين الختان الذي أمر الله به دائمًا مجوزين كل لحم نجس الذين ضل في عدادهم «بولس» الذي لا أتكلم عنه إلا مع الأسى وهو السبب الذي لأجله أسطر ذلك الحق الذي رأيته وسمعته أثناء معاشرتى ليسوع لكي تخلصوا ولا يضلكم الشيطان فتهلكوا في دينونة الله وعليه فاحذروا كل أحد يبشركم بتعليم جديد «إنجيل برنابا» ٣/ ٩ .

(٣) التبشير بين الماضي والحاضر ص ٣٥ .

من جهة «وبولس» من جهة أخرى «**فحصل بينهما مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر، وبرنابا أخذ مرقس وسافر فى البحر إلى قبرص وأما بولس فاختار سيلا وخرج مستودعًا من الإخوة إلى نعمة الله فاجتاز فى سورية وكليكية يشيد الكنائس**» [١].

ويبدو أن برنابا هذا انقطعت أخباره تماما بعد ذلك فلم يعد أحد يسمع عنه وليس هناك المزيد من الأخبار عنه الأمر الذى دعا «شارل جينيبر» إلى التحسر على قلة المعلومات الواردة عنه بعد أن استنتج أنه كان رجلا ألمعيًا يرجع إليه الفضل فى توثيق بولس لدى التلاميذ [٢].

٢- ونموذج آخر من الاختلافات بين بولس من ناحية، ويعقوب أخو «المسيح» وبطرس «**الذى كان زعيما للتلاميذ ووصيا عليهم من قبل المسيح**» أن بطرس ويعقوب لم يكن لهما عقائد تختلف عما جاء به المسيح وبما أنهما صحبا عيسى عليه السلام فقد كانا يعرفان أنه طبق الشريعة اليهودية. ولكن ما إن ظهر «**بولس**» بدينه الجديد حتى أظهرا تحفظا شديدا عليه حتى علما أنه يبشر بدين جديد وقد حاولا التحاور معه فى البداية ولكنهما لم يلبثا أن تولا عنه وانتبذاه وأنكراه [٣] ولكن بولس حين رأى منهما البغض والكراهية من أجل ما يأتي به من مخالفات للشريعة - لم يتورع أن يصفهما بالكذب.

ورد فى رسالة بولس إلى أهل غلاطية.

---

(١) أعمال الرسل الإصحاح ١٥/ ٣٩ - ٤٠ .
(٢) المسيحية نشأتها وتطورها ص ١٣٣ .
(٣) بولس وتحريف المسيحية ص٢٩، ٣١ .

لكن لم يضطر ولا تيطس الذى كان معى وهو يونانى أن يختتن، ولكن بسبب الأخوة الكذبة المدخلين خفية الذين دخلوا اختلاسا ليتجسسوا حريتنا التى لنا فى المسيح كى يستعبدونا- الذين لم نذعن لهم بالخضوع ولا ساعة ليبقى عندكم حق الإنجيل وأما المعتبرون أنهم شىء مهم كانوا لا فرق عندى- الله لا يأخذ بوجه إنسان فإن هؤلاء المعتبرين لم يشيروا على بشىء. بل بالعكس إذا رأونى أؤتمنت على إنجيل الغرلة كما بطرس على إنجيل الختان فإن الذى عمل فى بطرس لرسالة الختان عمل فىَّ أيضا للأمم فإذ علم بالنعمة المعطاة لى يعقوب وصفا ويوحنا المعتبرون أنهم أعمدة أعطونى وبرنابا يمين الشركة لنكون نحن للأمم وأما هم للختان [١].

هنا نجد أن تيطس كان من غير اليهود وقد دخل على يد بولس إلى النصرانية وقد ألحت الفرقة المتمسكة بالفرائض اليهودية- بختان تيطس وقد رفض بولس ختان تيطس، وسمى المنادين بذلك بالأخوة الكذبة لأنهم لم يقروا بأن الإيمان بالمسيح هو الطريقة الوحيدة للتبرير- أى لينال الإنسان البر، وقد حاول بولس أن يؤكد بكل وسيلة أنه لا فرق بينه وبينهم وأنه لم يتلق منهم أى شىء بل يزعم أنه تلقى تعاليمه من المسيح مباشرة ولم يلتفت بولس كثيرا إلى الأمر الذى سبب الخلاف هو وجوب التزامه ومن معه بتعاليم الشريعة اليهودية وإنما ركز فى هذه الفقرة فقط على استقلاليته عن بقية الرسل فى أمر الوحى والسلطان [٢] ونحن نتساءل ومن الذى خوله ذلك الحق؟؟؟

(١) رسالة بولس إلى أهل غلاطية ٢/ ٣ - ١٠ .
(٢) انظر تفسير العهد الجديد في مجلد واحد ص ٤٧٨ - ٤٧٩ .

ما هو يمين الشركة وحقيقته؟

هناك يمين يجب الوقوف عنده ألا وهو يمين الشركة الوارد فى رسالة لبولس إلى أهل غلاطية وهو يعنى اختصاص بطرس بالنصارى المتهودين الذين يراعون ناموس موسى ويعتقدون بأن المسيح إنسان نبى لا أكثر- بينما يكون مجال بولس مع الأمم حيث لم يكن المسيح كلف تلامذته بدعوتهم وهذا يكشف الخلاف العميق بين الفريقين [١].

فريق بزعامة بولس يرى أن الإيمان بالمسيح كاف وحده لتخليص صاحبه لأن بولس ادعى الألوهية للمسيح وأنه ابن الله وأنه تجسد واتخذ صورة إنسان ليصلب ويبذل دمه عمن يؤمنون به تكفيرا لخطيئة آدم، وإذا جاء المسيح بذلك فقد سقطت من ثمَّ فروض الناموس. فلا داعى لها [٢].

وفريق آخر يرى التمسك بالشريعة اليهودية التى جاء المسيح محافظا عليها مناديا بالتمسك بها. قاصرا الدعوة إليها على الذين جاء إليهم المسيح أصلا وهم اليهود، ولذلك وقع الخلاف وحدث الشجار- وأدخل فى النصرانية ما ليس منها أصلا- بسبب بولس الذى ظهر فجأة وكل من عارضه فى نشاطه أو تعاليمه اختفى فجأة أيضا. فعلى سبيل المثال- اختفى «**برنابا**» ونشاطه التبشيرى [٣] ومع برنابا اختفى إنجيله فلم يعد له ذكر فى قائمة الكتب المعتمدة لدى النصارى من خلال مجامعهم ومؤتمراتهم وتم كل هذا لصالح «**بولس**» الذى غير دين المسيح عليه

(١) عقائد النصارى الموحدين ص ٢١٠/ ٢١١ .
(٢) نفسه .
(٣) حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ص ٣٥ .

السلام وأنشأ دينا آخر بكل معنى كلمة دين- لا يمت بصلة إلى الدين الذى جاء به عيسى عليه السلام. . . وللأسف فإن المجامع النصرانية قديمًا، وحديثًا أقرت ما عليه بولس وطمست أو تجاهلت الدين الحقيقى للمسيح قبل محمد ﷺ: ورفضت الانصياع والانقياد لصاحب الدين الخاتم الناسخ لما قبله- بالرغم من مجيئه بالحق وإخباره لأهل الكتاب بالانحراف الذى دخل على دينهم. . . هذا النبى الخاتم هو محمد ﷺ بدينه الإسلام وكتابه القرآن.

كيف استطاع بولس أن يدخل غير اليهود فى دعوته؟

مر بنا أن دعوة عيسى عليه السلام كانت خاصة ببنى إسرائيل وقد استندنا على آيات القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة فى تأييد هذا الأمر ثم استأنسنا بما ورد من فقرات فى الإنجيل تشير إلى أن دعوة المسيح عليه السلام كانت لبنى إسرائيل وأن التلاميذ لم يفهموا أبدا عموم الدعوة من خلال تعلمهم من المسيح وبعد ذلك وقفنا مع دعوى العالمية وبينا أن مبتدعها هو «بولس» بعد رؤيته المزعومة للمسيح التى ناقشنا رواياتها وبينا ما فيها من تناقض ثم انتهينا إلى أن بولس قد حدث خلاف وشجار بينه وبين التلاميذ حول بعض المسائل والتى كان من أهمها دعوة الأمميين إلى المسيحية وكيف حسم الخلاف لصالح بولس؟

ونحاول هنا أن نجيب على السؤال المطروح وهو كيف استطاع بولس أن يدخل اليونانيين والرومانيين وغيرهم إلى دينه الجديد الذى نسبه زورا وبهتانا إلى المسيح؟

معظم المصادر تشير إلى أن «بولس» بعد رؤيته المزعومة كان يبذل

جهدا غير عادى للتبشير بدعوته، وكان لا يكل ولا يمل من الاتصال باليهود وبغيرهم من اليونانيين والوثنيين. يرصد لنا «شارل جينبير» حركة بولس ودعوته بقوله: «**كان يرتحل من بلدة إلى أخرى، ولا يقيم بضعة أيام فى أى منها إلا حينما يجد جاليات يهودية مهمة، وكان يبدأ الحديث فى المعابد فتثير آراؤه غضب اليهود وعندما يستطيع أن يهدئ من روعهم يحاول إقناعه من يأتى إليه من طلاب المعرفة وفى أثناء ذلك كان يكاتب سائر الكنائس التى غرسها بغية تدعيمها**» [١]، إن الحركة وحدها لا تكفى ولكن يجب أن يكون مع الحركة والدعوة شىء آخر ما هو؟

لقد رسم بولس خطة ذكية تمثلت هذه الخطة فى مخاطبة كل جماعة بما يناسبها [٢] بمعنى أنه كان لا يصادر فكر أحد من الذين يدعوهم بل على العكس كان يثبت لهم أن عقائدهم لا تخالف ما يدعو هو إليه بل وأكثر من هذا كان يثبت لهم أن ما يعتقدونه هو نفسه ما جاء به المسيح فهل يا ترى من الممكن أن يرفض أحد دعوته؟ ولندلل على صحة ما ذهبنا إليه بأحد النصوص من رسائله الأولى إلى كورنثوس [٣] يقول: «**فصرت لليهود كيهودى لأربح اليهود وللذين تحت الناموس كأنى بلا ناموس مع أنى لست بلا ناموس لله بل تحت ناموس المسيح لأربح الذين بلا ناموس صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء صرت للكل كل شىء لأخلص على**

---

(١) المسيحية نشأتها وتطورها ص ١٣٢ .

(٢) انظر إظهار الحق ج ٤ ص - ١١١٢ وانظر تخجيل من حرف الإنجيل ص ١٢٩ .

(٣) كورنثوس . مدينة مشهورة من بلاد اليونان تقع على بعد ٤٠ميلا غربي أثينا وكانت لكورنثوس تجارة متسعة حتى أصبحت مركزًا للغنى والترفه والعلم وحسبت زينة بلاد اليونان - انظر قاموس الكتاب المقدس ص ٦٩٧ .

كل حال قوما وهذا أنا أفعله لأجل الإنجيل لأكون شريكا فيه» [١] .

فى هذا النص سر النجاح الذى لاقاه بولس : الخداع، والكذب والحربائية ليضلل من يدعوهم من الأمميين ويوهمهم بأن ما هم عليه - لا يخالف ما يدعو إليه وكما يقول جينبير : **«لم يكن غير اليهودى فى هذا العصر يهتم بدعوة عيسى ولم يكن غير اليونانى يستطيع أن يمد فى أبعاد هذه الدعوة حتى يبلغ بها حدود العالمية لقد جمع بولس بين اليهودية واليونانية ثم أضاف إليها ميزة ثالثة غالية هى تمتعه بالجنسية اليونانية أو بتعبير أدق حصوله على صفة المواطن الرومانى وكانت تلك الميزة ذات نفع كبير متعدد الجوانب كانت تحميه من الانزلاق إلى تعصب يهود فلسطين القومى الذى اتصف بضيق الأفق وكراهية الأجنبى، وكانت تدعوه إلى العالمية فى التفكير والعمل ثم كانت هى السبب الذى اتخذه وهو لا يكاد يشعر - ليرتفع بالأمل - الذى ظهر بين طائفة محدودة من اليهود - إلى مرتبة الأديان الإنسانية - لذلك كله نستطيع وصف بولس بأنه كان «منشئ المستقبل»** [٢] وسوف نضرب بعض الأمثلة ونسجل بعض النماذج لما فعله بولس إرضاءً للأمميين حتى يقبلوا دعوته ويدخلوا فى دينه . . . وأقول دينه لأن ما جاء به لا يمت بصلة - فى معظمه إلى تعاليم المسيح، وكثيرًا ما عورض من قبل التلاميذ الذين صحبوا المسيح وعرفوا تعاليمه عن قرب .

ولنأخذ بعض النماذج التى نزل فيها على عادات الوثنيين محاولا كسبهم على حساب دين المسيح .

---

(١) كورنثوس الأولى ٩/ ٢٠ - ٢٤ .

(٢) المسيحية نشأتها وتطورها ص ١٠٨ .

أولا : إلغاء الختان :

من الشعائر المعروفة فى اليهودية، الختان وهو قطع لحم غرلة كل ذكر ابن ثمانية أيام [١] وجاءت به بعض النصوص فى العهد القديم وهو من عهد إبراهيم عليه السلام وتجدد العهد به لموسى أيضًا أى أنه من الشريعة اليهودية التى جاء عيسى عليه السلام بها ليحافظ عليها وأعلن أكثر من مرة كما فى الأناجيل أنه ما جاء لينقض وإنما جاء ليكمل فماذا صنع بولس مع هذه الشعيرة إرضاءً للأمميين؟ لقد رأى بولس أن عملية الختان لا يرضى عنها اليونانيون وأن أغلب أحكام الشريعة اليهودية لا تتناسب مع الحياة العملية وعادات وتقاليد وأساليب تفكير الذين يدعوهم فما لبث إلا أن أعلن بأن تعاليم هذه الشريعة قد نسختها تعاليم المسيح . بل ذهب أبعد من هذا حين زعم أن المسيح جاء ليبدل عهدا قديما بعهد جديد، وبناءً على هذا - أعفى اليونانيين الجدد من أحكام الشريعة اليهودية، ولا شك أن هذا الإجراء من شأنه أن يجعل الكثيرين يقبلون على دعوته لأنها لا تكلفهم شيئا . ومن ناحية أخرى فهم لم يتركوا شيئًا من معتقداتهم وعاداتهم القديمة كما أوهمهم «بولس» أنه لا تعارض بين عقيدتهم وما يدعو إليه ومما لا شك فيه أن تنازلاته قد أغضبت المتمسكين بالشريعة اليهودية من أتباع عيسى عليه السلام ولكنه بدأ يبرر تنازلاته تلك .

ففى رسالته إلى أهل غلاطية يقول عن عدم ضرورة الختان **«ها أنا بولس أقول لكم إنه إن اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئًا لكن أشهد أيضًا لكل إنسان مختتن أنه ملتزم أن يعمل بكل الناموس»** [٢] .

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص ٣٣٧ .

(٢) غلاطية ٥/ ٢ - ٣ .

بل أكثر من ذلك ذلك ادعى أن الختان لا ينفع شيئًا بالنسبة لتعاليم المسيح - بالطبع تلك التعاليم التى أضافها بولس - الذى يقول: **«لأنه فى المسيح يسوع ليس الختان ينفع شيئا ولا الغرلة بل الخليقة الجديدة»** [١].

يفسر أحد النصارى هذين النصين بقوله: **«أخذ الرسول يحث الغلاطيين على التمسك بحريتهم وعدم الخضوع للفرائض اليهودية التى تلزمهم بجميع الناموس وتخسرهم نصيبهم فى المسيح وأمرهم أن يفصلوا أنفسهم عن معلمى الضلال السريع السريان وفى النص الثانى يقول إن جميع الذين صاروا خليقة جديدة سواء، كانوا مختونين أو لا هم إسرائيل الله الحقيقى المباركون»** [٢].

وقد مر بنا كيف عارض التلاميذ والمتمسكون بالشريعة اليهودية من أتباع المسيح عليه السلام عدم الختان ولكن للأسف حسم كل خلاف لصالح بولس فمنع الختان لأنه لا يتناسب مع المدعوين الجدد. وألغى الختان إلى الآن عند النصارى لصالح تعاليم بولس متناسين تعاليم العهد القديم وسنن الأنبياء من لدن إبراهيم [٣] وحتى عيسى عليه السلام.

وأخيرًا رفضوا الحق الواضح والدين الخاتم الذى جاء به محمد ﷺ.

ثانيا: الصلب وتأليه المسيح:

كان الصلب على عهد عيسى عليه السلام وقبله فى البيئة اليهودية - وبعده أيضًا عند غير النصارى علامة الذل والعار وحمل الصليب كان يعنى حمل الإهانة ووردت نصوص العهد الجديد تشير إلى ذلك [٤]،

(١) غلاطية ٦/ ١٥ .

(٢) انظر تفسير العهد الجديد ص ٤٨٦، ٤٨٨ .

(٣) انظر سفر التكوين ١٧ / ١١ - ٢٧، وسفر اللاويين ١٢ / ٣ .

(٤) قاموس الكتاب المقدس ص ٥٤٦ وانظر في مهانة الصليب وحمله متى ٢٤ / ٣٧، ومرقص ١٥/ ٢٦، ولوقا ٢٣/ ٣٨، ويوحنا ١٦/ ٣١، ورسالة كورنثوس الأولى ١/ ٢٣، وغلاطية ٣/ ٣، وغيرها كثير تشير إلى الذل والعار الذي يلحق بالصليب وصاحبه .

ولكن بعد أن دخل بولس فى المسيحية لم ير فيها سوى صلب المسيح وكانت نظرية صلب المسيح كفارة عن الخطايا هى إنجيل بولس الذى جاء ليبشر به فى طول العالم الرومانى وعرضه فلم ير بولس فى رسالة المسيح شيئًا غير هذا [١].

ولكنه فى الوقت نفسه حين بدأ يدعو إلى دينه الجديد رأى الأتباع الجدد لن يتقبلوا فضيحة الصلب فأعمل فكره فى أن يفسر موت المسيح تفسيرًا مرضيًا يدور حول أسطورة عيسى الذى صوره بأنه شخصية إلهية تسبق العالم نفسه فى الوجود وتمثل نوعا من التشخيص لروح الإله. تصوره رجلا سماويا احتفظ به الله إلى جانبه أمدا طويلا حتى نزل إلى الأرض لينشئ فيها بشرية جديدة، وقد عثر بولس على العناصر الجوهرية لكل هذه التركيبات الفكرية فى مجموعة معينة من التصورات المعتادة فى الأسرار عثر عليها فى غالب الظن دون أن يبحثها، و يجب أن لا يغيب عن أذهاننا فكرة البيئة التى عاش فيها بولس متأثرًا بكل الأفكار الفلسفية.

وكما يقول «جينبير» أصبحت الفضيحة الكبرى المزعومة هى السر الأعظم والهدف والعلة الأولى لمجيء عيسى برسالته وليس أدل على ذلك من قول بولس بأن سائر عمله التبشيرى لم يكن سوى حديثه عن الصلب، ولم يكن هذا الحديث بالذى لا يتأثر به اليونانيون بل كان لابد أن يستثير عاطفتهم وقد ركز «بولس» على مسألة الصلب تركيزًا شديدًا لأنه وجد أنها تستهوى الوثنيين فقد كان عنصر تأليه المسيح ثم صلبه الجذب الحقيقى للوثنيين إلى العقيدة المسيحية، وإن بولس هو أول من يتحمل

(١) المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص ١٣٧ .

مسئولية القول به واستثماره على أوسع نطاق سواء لضرب العقيدة الأصلية أو لنشر فلسفته الخاصة أو لتحقيق الغاية التى صادفت هوى فى نفوس الأباطرة الوثنيين فى روما [١].

وكان لابد من فلسفة هذا الأمر على نحو يرضى الوثنيين فذهب بولس فى مسألة صلب عيسى عليه السلام إلى أن بنى الإنسان ينوؤون بثقل خطاياهم فلا يجدون سبيلا إلى النور الإلهى، وقد أراد المسيح أن يهديهم السبيل فحمل عنهم آثارهم وكفر عنهم بعذابه وموته، وبالتالى كان على البشر أن يتوحدوا فيه بالاطمئنان والحب قبل كل شىء. حتى يشاركوا فى فضله ولينالوا الرحمة يوم القيامة [٢].

ونخلص من هذا كله إلى أن الذى ساعد بولس على نشر تعاليمه فى العالم الرومانى وما وراءه بعد ذلك. أنه كان يتلون مع كل جماعة بما يناسبهم فلا غرو أن يستجيب له الناس على اختلاف أديانهم وثقافاتهم.

ومن المعلوم أن القرآن الكريم أثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن المسيح لم يصلب ولم يقتل بل رفعه الله إليه وأن الاختلافات الواردة فى الأناجيل حول الصلب والقيامة من الأموات تعد من أعقد المشاكل الموجودة فى الأناجيل والتى لم يستطع علماء النصارى إيجاد حل لها... وهى دليل على التحريف فى أقبح صوره.

ثالثًا: ادعاء بولس أن المسيح هو الإله المجهول الذى يبحث عنه اليونانيون:

بلغ من خداع «بولس» وكذبه أنه ادعى أن الآلهة المجهولة لدى

(١) المسيحية نشأتها وتطورها ص ١٣٨.
(٢) عقائد النصارى الموحدين ص ٢٣٣.

اليونانيين قد اكتشفها لهم. وقد تمثلت فيما يدعو إليه من إيمان بالمسيح. وقد فعل هذا ليقنع اليونانيين بدعوته ودخولهم فى مسيحيته التى ابتدعها.

ورد فى سفر أعمال الرسل «**فوقف بولس فى وسط آريوس باغوس وقال: أيها الرجال الأثينيون أراكم من كل وجه كأنكم متدينون كثيرًا لأنى بينما كنت أجتاز وأنظر إلى معبوداتكم وجدت أيضًا مذبحا مكتوبًا عليه لإله مجهول فالذى تتقونه وأنتم تجهلونه هذا أنا أنادى لكم به**» (١).

هكذا يخاطب «بولس» اليونانيين بأنهم متدينون جدًّا والدليل على ذلك كثرة المعابد عندهم ولكن ما قصة الإله المجهول الذى زعم «بولس» أنه ينادى به؟ أو اكتشفه لهم؟

لهذا الإله المجهول قصة مفادها أنه قد انتشر وباء الطاعون فى تلك المدينة التى دخلها بولس وكان ذلك قبل ستمائة سنة من زيارته للمدينة ويبدو أن أحدًا لم يستطع مقاومة هذا الوباء وإذا بأحد الشعراء اليونانيين يقدم لأهل المدينة اقتراحا - بأن يطلقوا قطيعا من الغنم ابتداءً من أريوس باغوس فى كل المدينة وكل شاة ترقد أمام تمثال أحد الآلهة - كانت تقدم ذبيحة لهذا الإله - أما الخراف التى ترقد بعيدا وبالقرب من إله غير معروف فكانت تذبح للإله المجهول. وأصبح فى أثينا نظام معترف به للآلهة المجهولة - وكان بولس فى رأى مفسر أعمال الرسل فنانا فى توجيه رسائله إلى مجموعة من السامعين فقد استغل جهلهم بالإله المجهول وأعلن لهم أن المسيح امتاز عن كل الآلهة فهو ليس إلها مجهولا بل إلها مقاما وهو الإله الذى نتعامل معه.

---

(١) المسيحية نشأتها وتطورها ص ١٣٧ .

المبحث الرابع

مناقشة النصوص الداعية إلى عالمية النصرانية ونقضها

تمهيد:

بعد أن أثبتنا النصوص الواردة فى الأناجيل والتى تثبت خصوصية رسالة عيسى عليه السلام إلى بنى إسرائيل - انتقلنا فى التدليل على خصوصية رسالة عيسى عليه السلام إلى بنى إسرائيل بعمل تلاميذ المسيح عليه من بعده فى دعوة بنى إسرائيل إلى دين عيسى عليه السلام.

وبعد ذلك انتقلنا إلى ادعاء العالمية للنصرانية وبينا أن بولس هو أول من دعا إليها مع غيرها من البدع التى أدخلها على دين المسيح عليه السلام وقد ناقشنا الأصل الذى اعتمد عليه بولس فى دعواه وهو زعمه أن المسيح أمره بذلك بعد رؤية بولس له على طريق دمشق وقد أوضحنا التناقض الوارد فى تلك الحادثة وانتهينا إلى أنه كذب وافتراء من بولس وأوردنا طرفا من الخلافات بين بولس والتلاميذ والتى كان من أسبابها دخول غير اليهود عن طريق بولس إلى المسيحية و كيف عارضوه وانتهى الأمر إلى تشاجره مع بعضهم.

وفى هذا المبحث نعرض لنصوص الأناجيل التى تدعو إلى عالمية النصرانية ثم نناقشها ولابد أن نذكر أن كُتَّاب الأناجيل تأثروا فى دعواهم تلك «ببولس» خاصة إذا علمنا أن أول ما سجل من الأسفار والرسائل المسيحية كانت كتابات بولس التى كتبت ما بين عام ٥٠ م إلى ٦١م.

أما الأناجيل المتشابهة وسفر أعمال الرسل الذى كتبه «لوقا» فقد كتبت ما بين ٦٨/ ١١٢م على هذا النحو الآتى:

إنجيل «مرقس» ٦٨م، وإنجيل «لوقا» ٩٠م، وأعمال الرسل ٩٥م، وإنجيل «متى» ٩٥م، وهذه التواريخ تقريبية - وليست مؤكدة [١].

ولا يشك الباحثون أن كتاب الأناجيل تأثروا فى كتاباتهم لأناجيلهم بما دونه بولس فى رسائله التى تعد من أقدم الأسفار المسيحية التى قبلتها الكنائس الأولى على الرغم من أن بولس لم يكن قط من تلاميذ المسيح وبالرغم من ذلك فإن تعاليمه هى التى شاعت وكان لها الغلبة كما أن رسائل بولس هى التى سبقت الأناجيل فى الكتابة ولم تزل تتقدم عليها فى الاستشهاد بها فى الدراسات والتعليم المسيحى حتى اليوم [٢] وسوف نعرض نصوص الأناجيل الداعية إلى عالمية الملة النصرانية. سواء من إنجيل «متى»، أو «مرقس»، أو «لوقا» - ثم نثبت مدى تأثر كتاب الأناجيل فى هذه الفقرات بالذات «ببولس» كأحد الفروض الرئيسة - أو إضافتها فيما بعد كأحد الاتجاهات التى ذهب إليها الباحثون فى تاريخ الأديان حتى يثبت لدينا يقينا ولغيرنا من النصارى أن عالمية النصرانية ودعوة غير اليهود لم يقل بها المسيح ولم يمارسها لا هو ولا تلاميذه وإنما الذى نادى بها وخرج بها من دائرة بنى إسرائيل إلى غيرهم إنما هو «بولس» على النحو الذى عرضناه...

أولاً: مناقشة ما ورد فى إنجيل متى حول عالمية النصرانية:

ورد فى متى: فتقدم يسوع وكلمهم قائلا دفع إلى كل سلطان فى السماء

(١) أعمال الرسل ١٧ / ٢٣ - ٢٤.

(٢) انظر المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص ٢٩ / ٣٠ / ٣١.

وعلى الأرض فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس [١].

يقول «وليم إدى» جميع الأمم كان إرسال المبشرين بالإنجيل فى أول الأمر إلى اليهود فقط ولكن المسيح أطلقه هنا فأمر بتبشير كل الناس يهودا وأمما وهذا مناقض لآراء اليهود كل المناقضة حتى إن تلاميذ المسيح توقفوا عن طاعة هذا الأمر لتعصبهم اليهودى فانقضى عليهم سنون وهم متأخرون عن إجرائه حتى ألزمهم الاضطهاد فى أورشليم أن يذهبوا منها ويبشروا الأمم [٢].

إن الاعتراف بخصوصية رسالة عيسى عليه السلام يكاد يظهر بين ثنايا كلام مفسر نص إنجيل «متى».

إذا قلنا إن الدعوة فى البداية كانت لليهود فلنا أن نتساءل هل نسخ هذا الأمر بأمر آخر للتلاميذ أن يذهبوا ويكرزوا لسائر الأمم؟ والنصارى لا يعترفون بالنسخ فعلام يحمل الأمر أولا، وأخيرًا؟؟

ثم إذا رفض التلاميذ أمر عيسى معلمهم فعلام يحمل هذا الرفض؟ وهل ينبغى للرسل أن يمتنعوا عن تنفيذ أمر معلمهم وهو من صميم الطاعة له؟ كل هذه إلزامات لا نجد إجابة عليها عند أحد مفسرى إنجيل «متى» فى هذا النص وغيره من النصوص ونقول إنهم رسل مجاراة للنصارى فى إطلاق هذا الوصف عليهم، وإن كنا لا نوافقهم عليه ثم لنا أن نقول إنه على فرض أن التلاميذ رفضوا ثم اضطروا إلى تبشير الأمم بعد الاضطهاد

(١) نفسه ص ٣١ / ٣٢ .
(٢) متى الإصحاح ٢٨ / ١٨ / ١٩ .

فهو أمر ضرورى طارئ وليس من أصل الرسالة كما يفهم من كلام «**وليم إدى**» وسوف نورد من الأدلة ما يدحض حجة النصارى عموما حول هذه القضية.

وبصرف النظر عن تفسير النص- فإن إنجيل «**متى**» نفسه دار حوله أخذ ورد فإن علماء اللاهوت النصارى وجهوا النقد إلى إنجيل «**متى**» نفسه وعلى وجه الخصوص خاتمته التى ورد فيها النص بعموم رسالة المسيح ومما ذكروه.

١- أن الغموض يحيط بكاتبه وتاريخ تأليفه والمكان الذى كتب فيه فلا يعرف على وجه التأكيد اسم مؤلفه وقد ضاعت النسخة الأصلية ووجدت ترجمتها ولا يعرف أى شىء عن الشخص الذى ترجمها حتى اسمه مجهول فكيف يعتمد عليه وهل يصدق بأنه كتاب مقدس؟ [١].

٢- ثم تأتى خاتمة إنجيل «**متى**» التى يشكك فيها الباحثون ويعتبرونها دخيلة عليه فهى تنسب للمسيح قوله لتلاميذه «**اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس**» ويرجع السبب فى ذلك الشك كما يقول «**أدولف هرنك**» إلى الآتى:

أ - «لم يرد إلا فى الأطوار المتأخرة من التعاليم المسيحية. ما يتكلم عن المسيح وهو يلقى مواعظ ويعطى تعليمات بعد أن أقيم من بين الأموات وأن بولس لا يعلم شيئا عن هذا [٢].

---

(١) الكنز الجليل ص ٥٣٨.

(٢) انظر التبشير بين الماضي والحاضر ص ١٨ وهامش بين الإسلام والمسيحية لأبي عبيدة الخزرجي تحقيق الدكتور محمد عبد الغني شامة ص ٧٩ وانظر أضواء على المسيحية للدكتور رءوف شلبي ص ٣٩/ ٤٠ وانظر الجواب الصحيح لابن تيمية جـ ٢ ص ٨١ وإظهار الحق ص ١٥١ والفارق بين المخلوق والخالق ص ٢١.

ب - إن صيغة التثليث التى تتكلم عن الآب، والابن، والروح القدس - غريب ذكرها على لسان المسيح ولم يكن لها نفوذ فى عصر الرسل [١].

وقد نبه علماء الإسلام إلى تفرد «متى» بهذه العبارات - يقول «**يحيى بن نصر**» فى مجادلته للنصارى حول زعمهم عالمية النصرانية «**فمن أين أخذتم هذا الاعتقاد؟ ومن أمركم به؟ وفى أى كتاب نزل وأى نبى تنبأ به؟ وأى قول قاله المسيح حتى استدللتم به على هذا المعنى حتى تدعونه فيه وهل بنيتم إلا على قول** «متى» عن المسيح أنه قال لتلامذته حين أراد أن يفارقهم إلخ [٢]. وانفراد متى وحده بهذه الرواية على هذا النحو - ينفى عنها أى قدسية... فمع أنها باطلة أصلا... فإن أحدًا من الأناجيل المعتمدة لدى النصارى لم يذكرها. فقد ذكر «**لوقا**»، و «**مرقس**» لفظ الكرز وهو التبشير والوعظ للأمم ولكن لم يذكرا التعميد باسم الآب، والابن، والروح القدس، ومع أن إنجيل «**يوحنا**» أشد الأناجيل حرصا على تدوين أقوال المسيح وأعماله وباعتراف علماء النصارى ومنهم الخمس مائة الذين اشتركوا فى دائرة المعارف البريطانية أنه ألف بعد المسيح بفترة للرد على منكرى ألوهيته فإن هذه الفقرة رغم أهميتها عند النصارى ليس لها أصل فى هذا الإنجيل علما أنه انفرد عمن سواه بين الأناجيل بذكر أشياء كثيرة أقل أهمية من هذه العبارة، ولا تتوقف عليها النجاة، ولقد انبنى على الخلاف الواقع فى ألفاظ هذه العبارة خلاف شديد بين طوائف

(١) المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص ٦٠/ ٦١ .

(٢) النصيحة الإيمانية ص ١٢٦ - نصر بن يحيى عيسى المتطبب تحقيق د/ محمد عبد الله الشرقاوي نشر دار الصحوة .

النصارى حتى حكمت كل طائفة على غيرها بالكفر ما لم يجر التعميد على طريقتها [١].

ومما يدلل على كذب «متى» فى نسبته هذا القول للمسيح أن التثليث وألوهية المسيح لم يتقررا فى عقيدة النصارى إلا فى نهاية الربع الأول من القرن الرابع الميلادى بموجب قرارات مجمع نيقية الذى تم عقده فى ٣٢٥م بأمر قسطنطين إمبراطور الدولة الرومانية أما ألوهية روح القدس فلم تتقرر هى الأخرى إلا فى مجمع قسطنطينية ٣٨١م الأمر الذى يقطع بأن هذه الفقرات مصطنعة ألحقت وأضيفت بعد ذلك إلى إنجيل «متى» خصوصًا وأنها تتناقض مع تعاليم المسيح وتلاميذه حال حياته - من أن الدعوة كانت لبنى إسرائيل فقط [٢].

وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على أن إنجيل «متى» محرف ومبدل ونسخته الأصلية ليست موجودة يقول رحمت الله الهندى: إن إنجيل «متى» كان باللسان العبرانى وفقد بسبب تحريف الفرق المسيحية والموجود الآن ترجمته ولا يوجد عندهم سند هذه الترجمة حتى يعلم باليقين اسم المترجم أيضا إلى هذا الحين [٣] وحتى على فرض وجود هذه الأمور ومعلومية مصدر إنجيل «متى» وكاتبه ومترجمه فإن بعض شراح الأناجيل يعتبرون أن هذا الإنجيل كتب لليهود وليس للأمميين ولذلك استحق أن يكتب فى أول العهد الجديد والدليل على ذلك فى رأى «وليم إدى».

١- اقتباساته العديدة من العهد القديم وهى ليست أقل من خمسة

---

(١) انظر بشرية المسيح ونبوة محمد ﷺ في نصوص العهدين ص ٧/ ٧١ .
(٢) الميزان في مقارنة الأديان ص ٢٨٨/ ٢٨٩ .
(٣) إظهار الحق جـ ١ ص ١٥١ .

وسبعين عددا .

٢- أنه لا يتعرض لذكر عادات اليهود لكونها معلومة عند القارئ الذى تكتب له .

٣ - أنه يصرح بيسوع مرسلا مخصوصًا إلى اليهود [١] .

الله أكبر وقع الحق وبطل ما كانوا يعملون ويحرفون - مفسر الإنجيل يقول بأن إنجيل «متى» يصرح بأن عيسى مرسل مخصوص إلى اليهود . وهل نقول بغير ذلك؟ فلم إذن إضافة الفقرات التى تدعو سائر الأمم إليه؟ . . . والتساؤل الآن من الذى أضاف إلى إنجيل «متى» النص الذى يصرح فيه على لسان المسيح بدعوة جميع الأمم من قبل التلاميذ وليست الدعوة فقط وإنما الدعوة إلى الوثنية باسم الآب، والابن، والروح القدس التى ما نادى بها عيسى وما حق له أن ينادى بها وهو عبد الله ورسوله - الذى يدعو مع إخوانه الأنبياء إلى وحدانية الله وعدم الإشراك به . إن وجود النص المصرح بدعوة جميع الأمم إلى الوثنية - دليل على التحريف والتبديل الذى مارسه النصارى بعد عيسى عليه السلام على دعوته وإنجيله - الحق الذى أنزله الله عليه - وعلمه إياه . . . وبشر بمحمد ﷺ كنبى خاتم بدين ناسخ لما قبله من الأديان ومن بينها النصرانية .

ثانيًا: ما ورد فى إنجيل مرقس حول عالمية النصرانية ومناقشته:

ورد فى إنجيل مرقس نص وحيد فى الإصحاح الأخير منه حول توجيه المسيح للتلاميذ بقوله كما يزعمون: «**اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا**

(١) مقدمة إنجيل متى - وليم إدى .

بالإنجيل للخليقة كلها» [١].

ورود هذا النص فى آخر إصحاح من إنجيل «**مرقس**» يثير مشاكل لا تقل خطورة عن المشاكل التى أثارها الإصحاح الأخير من إنجيل «**متى**» وكما رأينا من قبل يقول صاحب تحفة الأريب وأما مرقس فما رأى عيسى قط وكان دخوله فى دين النصارى بعد أن رفع المسيح عليه السلام وتنصر على يد بطرس الحوارى وأخذ عنه الإنجيل بمدينة رومة، ومرقس هذا قد خالف أصحابه الثلاثة الذين كتبوا الإنجيل فى مسائل جمة [٢] هذا بوجه عام عن مرقس صاحب الإنجيل الذى يزعمون أنه كاتبه. إن المحققين يتساءلون من هو مرقس؟ يقول نينهام مفسر إنجيل مرقس إنه ليس من الحواريين ولم يوجد أحد بهذا الاسم عرف أنه كان على صلة وثيقة وعلاقة خاصة بيسوع أو كانت له شهرة خاصة فى الكنيسة الأولى [٣].

ويضيف «**إريك نينهام**» لقد كان من عادة الكنيسة الأولى أن تفترض أن جميع الأحداث التى ترتبط باسم فرد ورد ذكره فى العهد الجديد إنما ترجع جميعها إلى شخص واحد له هذا الاسم ولكن عندما نتذكر أن اسم مرقس كان أكثر الأسماء اللاتينية شيوعا فى الإمبراطورية الرومانية فعندئذ نتحقق من مقدار الشك فى تحديد الشخصية فى هذه الحالة [٤] ويصل الشك مداه فى نسبة هذا الإنجيل لمرقس القول بأن «**بطرس**» كتبه رواية عن مرقس مع أن بطرس هو رئيس التلاميذ فكيف ينقل أى بطرس عن

---

(١) الإصحاح ١٦/ ١٥/ ١٦ .
(٢) تحفة الأريب ص ١١١/ ١١٢ .
(٣) المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص ٥٢ .
(٤) نفسه ص ٥٢ .

مرقس الذى لم ير المسيح ولم يعاصره [١]؟

وأمام هذه الشكوك التى تحيط بمرقس من ناحية شخصيته ثم من ناحية تاريخ كتابته التى يختلف حولها ما بين الأعوام ٦٥/ ٧٥م، ثم الشك حول مكان كتابته فالبعض يقول أنطاكية، والبعض يقول مصر أو روما كل هذه الملابسات والشكوك جعلت الباحثين يذهبون إلى أن أحدا لا يعرف بالضبط من هو مرقس كاتب الإنجيل وإن كان الرأى الشائع أنه كان بين تلاميذ بطرس وتابعيه، والبعض يذهب إلى أنه مبشر الإسكندرية وأول أسقف لكنيستها لكن بعض العلماء يعتبر هذا الرأى من المأثورات العجيبة تماما مثل الاستدلال الخاطئ الذى توصل إليه أوغسطين من أن مرقس كان واحدا من الذين تبعوا **«متى واختصروا إنجيله»** [٢] هذا ما كتبه المحققون من الباحثين حول شخصية مرقس الذى ينسب إليه الإنجيل ولا ريب أن محتوى الإنجيل أى متنه أكثر إثارة للشك والتناقض من كاتبه.

فمن ضمن مشكلاته الرئيسة عدم اتفاق النسخ الموجودة الآن يقول «نينهام»: **«لقد زحفت تغييرات تعذر اجتنابها وهذه حدثت بقصد أو بدون قصد ومن بين مئات المخطوطات أى النسخ التى عملت باليد لإنجيل مرقس والتى عاشت إلى الآن فإننا لا نجد أى نسختين تتفقان تماما** [٣] هذا ما كتبه المحققون من النصارى عن الإنجيل بوجه عام فماذا عن خاتمته التى ورد فيها النص الداعى إلى دعوة الخليقة كلها إلى المسيحية والتى يبنى عليها النصارى مع غيرها من النصوص القليلة عالمية النصرانية؟؟

(١) هامش بين الإسلام والمسيحية ص ٨٠ للدكتور محمد عبد الغني شامة .
(٢) المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص ٥٣ .
(٣) نفسه ص ٥٥ .

خاتمة إنجيل مرقس وما دار حولها:

إن أهم مشكلة فى إنجيل «مرقس» هى خاتمته والتى تواتر أقوال المحققين على إضافتها لهذا الإنجيل فى فترة لاحقة لزمن كتابته المختلف عليها فى الأصل يقول أحد مفسرى إنجيل مرقس: ونلاحظ أن خاتمة هذا الإصحاح إضافة مختلفة الأسلوب فى الإنشاء عما سبق [١] وهذا القول يتفق مع ما قرره الباحثون الغربيون النصارى فى شأن خاتمة إنجيل مرقس ينقل رحمت الله الهندى عن أحدهم قائلا: صرح «جيروم» فى مكتوبه أن بعض العلماء المتقدمين كانوا يشكون فى الباب الأخير من إنجيل «مرقس» وينقل أيضًا عن محققيهم ما انتهوا إليه بالنسبة لخاتمة إنجيل «مرقس» يقول وقال المحقق نورتين فى الصفحة ٧٠ من كتابه المطبوع ١٨٣٧م فى بلدة بوستين فى حق إنجيل «مرقس» فى هذا الإنجيل عبارة واحدة قابلة للتحقيق وهى من الآية التاسعة إلى آخر الباب (لاحظ أن النص المثار يقع بين هذه الأعداد) والعجب من كريسباخ أنه ما جعلها معلمة بعلامة الشك فى المتن وأورد فى شرحه أدلة على كونها إلحاقية [٢] وهذا ما تتفق عليه نتائج الباحثين من أن نهاية هذا الإنجيل كغيره من الأناجيل وخاصة إنجيل «متى» غير متفق عليها فى النسخ المختلفة إذ إن الإصحاح السادس عشر وهو الأخير من إنجيل مرقس يحتوى على عشرين عددا. لكن الأعداء من رقم تسعة إلى رقم عشرين وهى آخر الإنجيل تعد فى نظر بعض المراجع الهامة مثل النسخة القياسية المراجعة من العهد الجديد كأنها فقرات غير

(١) المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص ٥٣ .
(٢) نفسه ص ٥٥ .

موثوق بها. ولا أحد من الناس يدرى حقيقة الخاتمة التى انتهى بها إنجيل «مرقس» وأن الغموض الذى يحيط بخاتمته لا يختلف كثيرا عن الغموض الذى يكتنف شخصية «مرقس» الذى التصق اسمه بهذا الإنجيل [١].

وأخيرًا فإن الخلاصة أن الباحثين فرغوا منذ أمد بعيد من الإقرار بأن خاتمة مرقس الوارد بها النص الخاص بدعوة الأمم لا وجود لها فى أقدم النسخ المنسوخة إلى مرقس وأنها أضيفت فى وقت متأخر باستثناء الفقرات الأولى منها حتى إن بعض النسخ استباحت أن تضع ملخصا لهذا الجزء المضاف بدلا من نصه [٢] وعلى هذا فتكون الفقرات الأخيرة والتى تتحدث عن عموم الدعوة مضافة ولم تصدر أساسًا عن المسيح عليه السلام.

ثالثًا: مناقشة نص إنجيل «لوقا» المصرح بدعوة جميع الأمم إلى المسيحية:

ورد فى إنجيل «لوقا» فى الإصحاح الرابع والعشرين ما نصه: **«وقال لهم هكذا هو مكتوب وهكذا كان ينبغى أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات فى اليوم الثالث وأن يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم مبتدأ من أورشليم** [٣] فيما يتعلق «بلوقا» صاحب الإنجيل فهو لم يدرك عيسى عليه السلام ولا رآه ألبتة وإنما تنصر بعد أن رفع عيسى عليه السلام وكان تنصره على يد «بولس» الإسرائيلى الذى لم يدرك بدوره عيسى وكان من ألد أعداء النصرانية [٤].

(١) تفسير العهد الجديد في مجلد واحد ص ١٢٨ .
(٢) إظهار الحق ط ص ١٥٢/ ١٥٣ .
(٣) لوقا - ٢٤/ ٤٧ - ٤٨ .
(٤) تحفة الأريب ص ١٠٧/ ١٠٩ .

وكما تطرق الشك حول شخصية «متى»، و «مرقس» تطرق الشك أيضًا حول «لوقا» ففضلا على أنه ليس من الحواريين ولم ير المسيح عليه السلام فإنه كان من غير اليهود وقد استخلص الباحثون ذلك من خلال اهتمامه بالأمميين من ناحية ومن ناحية أخرى تجنبه الخوض فى المسائل اليهودية البحتة.

إن الفكرة السائدة لدى المؤلفين المسيحيين هو أن «لوقا» كان طبيبا وكان صديقا لبولس وقد ورد ذكره فى رسائل بولس أكثر من مرة - كزميل له [١] ومن ثم يذهب الكثيرون إلى أن النص الأخير الذى تحدث فيه لوقا عن تخليص المسيح لجميع البشر قد أضيف إلى إنجيله من زميله «بولس» - الذى تواتر عنه أنه هو الذى نقل المسيحية من ديانة محلية خاصة ببنى إسرائيل إلى ديانة عالمية لجميع الأمم [٢].

وبالرغم من قلة النصوص الواردة فى الأناجيل من ناحية والاختلاف حولها من ناحية أخرى فإن النصارى قديمًا وحديثًا يجمعون على عالمية النصرانية إستنادًا على تلك النصوص ففى الرسالة التى بعث بها أحد القساوسة إلى أبى عبيدة الخزرجى من علماء الأندلس وجدنا هذا القسيس يركز على عالمية النصرانية يقول عن المسيح ورسالته ورسالة التلاميذ من بعده: «**ثم إنه أيد بإحياء الموتى بعض الحواريين. فأحيوا الموتى كمثل ما فعل المسيح، وأرسلهم المسيح إلى جميع الأجناس وأمرهم بإفشاء أمره بعد أن كان يشرح لهم شرائعه بنفسه**» [٣] وقد فندنا هذا الادعاء من قبل سواء من

(١) المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص ٦٤/ ٦٥ .
(٢) انظر: هامش بين الإسلام والمسيحية ص ٨١/ ٨٢ .
(٣) نص رسالة القسيس في كتاب بين الإسلام والمسيحية لأبي عبيدة الخزرجي ص ٧٧/ ٨٢ تحقيق الدكتور - محمد عبد الغني شامة .

ناحية عدم أمر المسيح تلاميذه بدعوة غير اليهود أو من ناحية التلاميذ أنفسهم على نحو ما أسلفنا.

ويتبنى النصارى المحدثون على اختلاف فرقهم وألسنتهم هذا الاتجاه الذى يذهب إلى عالمية النصرانية. وتقام المؤتمرات التنصيرية من أجل هذا الغرض ليعم دين المسيح العالم كله كما يزعمون... ويقاتل، وترتكب أخس الأعمال من أجل هذا المبدأ.

ورد فى علم اللاهوت النظامى هذا السؤال - لماذا وجهت دعوة الإنجيل إلى الناس. إذا كانوا لا يخلصون جميعا؟ ويجيب محررو هذا الكتاب بقولهم:

أولاً: إن دعوة الإنجيل ليست إلا أمر الله للبشر بأن يتوبوا ويؤمنوا بالرب يسوع المسيح.

ثانيًا: دعوة الإنجيل العامة هى الواسطة التى وضعها الله لجميع مختاريه وقد أعلن للجميع وعرضت عليهم بلا تمييز.

ثالثًا: أن من نتائج دعوة الإنجيل العامة أن كل من يؤمن يخلص وإظهار شر من يرفضونها عمدا وإصرارهم على آثامهم [١].

هذا دينهم وتلك عقيدتهم ومن ثم نجد بينهم اتفاقًا على وجوب تنصير العالم وينفقون الأموال الطائلة لتحقيق هذا الغرض.

وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ

(١) انظر: علم اللاهوت النظامي ص ٩٢٨ - ٩٢٩ دار الثقافة المسيحية.

جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال :٣٦] .

مدى تأثر كُتاب الأناجيل بأفكار بولس؟؟

لابد أن نشير إلى حقيقة هامة أصبحت تفرض نفسها على الدارسين للأناجيل ورسائل بولس هذه الحقيقة هى أن كتاب الأناجيل تأثروا جملة وتفصيلاً بآراء بولس يقول «**هيم ماكيبى**» فى كتابه بولس وتحريف المسيحية :

إن رسائل بولس فى الواقع ليست إلا النصوص الأولى للعهد الجديد ما دام أنها كتبت بين ٥٠/ ٦٠م بينما لم تكتب أناجيل «**العهد الجديد**» إلا ما بين ٧٠م/ ١١٠م أى أن مؤلفى هذه الأناجيل تأثروا برسائل بولس التى كتبت قبلهم وتشربوا بأفكاره وتأويلاته إن بولس حاضر ناظر فى العهد الجديد منذ كلمته الأولى ولا شك فى أن مفاهيم بولس ونظرته قد طغت على الأناجيل طغيانا دل على انتصار نظرته على ما فعله المسيح على الأرض وذلك فى عقيدة الكنيسة بعد ذلك [١] وما يقوله صاحب هذا الكلام يصيب الحقيقة فإن النصارى وللأسف تركوا تعاليم المسيح وانقادوا لتعاليم بولس وظل فكره يتناقل حتى صار هو القدوة للنصارى الآن فى الشرق، والغرب ورسائله وأعماله مقدمة فى الاستدلال عن بقية كتب النصارى . . . .

* * *

(١) انظر: بولس وتحريف المسيحية ص ١٥ تأليف هيم ماكيبى ترجمة سميرة عزمي الزين منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية الطبعة الأولى ١٩٩١م .

تعقيب:

لقد اتضح لنا جليا أن فكرة عالمية النصرانية لم تعرف أو يُنادَى بها إلا عن طريق بولس وأنه لا المسيح، ولا الذين عاصروه سمعوا أو شاهدوا المسيح يدعو غير بنى إسرائيل وقد استعرضنا النصوص التى تتحدث عن خصوصية الرسالة التى أتى بها المسيح عليه السلام ورجحنا أنها الحق لأنها تتطابق مع ما أخبر به القرآن الكريم وما تحدث عنه الرسول ﷺ من أن كل نبى كان يرسل إلى قومه خاصة. ثم استعرضنا بعد ذلك النصوص الواردة فى كل من إنجيل «متى»، و «مرقس»، و «لوقا» وأتينا على بنيانها من القواعد سواء من ناحية أصحاب الأناجيل التى وردت فيها هذه النصوص أو من ناحية النصوص نفسها التى دل النقد الداخلى لها على أنها مضافة فى عصور متأخرة زمنيا عن الزمن الذى يزعم أنها كتبت فيه ولعل أوضح دليل على ذلك قول «متى» على لسان المسيح: «**فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم باسم الآب، والابن، والروح القدس**» وأن هذا التثليث لم يناد به عيسى عليه السلام ولا أتباعه من الموحدين، وإنما أدخله بولس واستقر كعقيدة رئيسية لدى النصارى من خلال المجامع المسيحية كما أشرنا إلى ذلك فى موضعه.

وأخيرًا - وليس آخرًا فإننا نتساءل مع غيرنا أيمكن أن تكون دعوة المسيح للأمم كلها لا دليل عليها إلا ثلاثة نصوص فقط أحدها فى إنجيل «متى» والثانى فى إنجيل «مرقس» والثالث فى إنجيل «لوقا» وهذه النصوص غير مسلم بها وإنما مختلف حولها؟ وهذا الاختلاف أصبح أمره معلوما ومتواترًا بين مجموع الباحثين من غربيين ومسلمين!!

أيمكن أن يجهل الناس أو يتجاهلوا، وأولهم تلاميذ المسيح أنفسهم مثل هذا الأمر لو حدث (أى دعوة جميع الأمم) فى أمة كالأمة الإسرائيلية تقوم عقيدتها وكيانها أصلاً على أساس عنصرى بالغ الضيق والتشديد ولا ينزعج له اليهود، ولا يدينونه عليه؟ بل يكتمونه عن الناس وهو أحرى أن يكون من أبلغ أعماله إثارة وضجة فيشيع ويشتهر، وتتواتر أخباره بما لا يسع أحدًا أن ينكره أو يشك فيه؟ ولكن لم يحدث أن أخذ أحبار اليهود على عيسى عليه السلام أنه دعا أو وصى أتباعه بدعوة غير بنى إسرائيل ولو رأوه أو سمعوه لأخذوا ذلك مبررًا لتكذيبه وقد كانوا يقفون له عند كل صغيرة وكبيرة من الأمور التى ظنوا أنه خالف فيها الناموس، وإذا كان البعض يذهب إلى أن الضرورة هى التى حولت رسالة عيسى من دعوة خاصة لبنى إسرائيل إلى دعوة عامة من بعده لأن بولس وإخوانه لم يكن فى وسعهم أن يبشروا اليونان والرومان بمسيح منتظر فى بنى إسرائيل لخلاصهم واستعادة ملكهم الذى قضى عليه الرومان أنفسهم فلا جرم أن تتحول الدعوة من إسرائيلية إلى عالمية.

هكذا يعلل العقاد [١] - عالمية الدعوة إلى النصرانية بعد عيسى عليه السلام ونحن نقول على فرض صحة هذا الكلام إن هذه الضرورة قد انتفت بعد بعثة محمد ﷺ إلى الناس كافة، وإذا كان بولس قد حرف المسيحية بعد المسيح عليه السلام، وحولها من ديانة خاصة إلى ديانة عالمية. مستغلاً أهواء الذين دعاهم من اليونانيين وغيرهم - غير مكلف إياهم بشىء من مقتضيات الإيمان محرفًا تعاليم المسيح من أجل إرضائهم - فإنه وبعد مجىء محمد ﷺ داعيا الناس كلهم ومن ضمنهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى أصبح لا وجه لأحد فى أن يتمسك بنصرانيته فضلاً عن أن يدعو

(١) الإسلام دعوة عالمية للعقاد ص ١٢٩.

إلى عالميتها خاصة وأن محمدًا ﷺ خاطب أهل الكتاب داعيًا إياهم إلى التصديق برسالته والدخول فى دين الإسلام. مذكرًا لهم بما هو موجود فى التوراة والإنجيل عنه من تبشير موسى وعيسى عليهما السلام به مناديًا إياهم كما أخبر القرآن الكريم: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ﴾ [المائدة: ١٥].

فالإسلام بعد أن أعلنه محمد ﷺ دينا للبشرية جميعًا ناسخ لما قبله من الأديان بكتبها وشرائعها.

وكان يجب على النصارى أن يطرحوا ما هم عليه من اعتقاد باطل فى المسيح وأمه بعد أن بين الله عز وجل على لسان محمد ﷺ تنكب النصارى عن طريق الله المستقيم الذى سار عليه عيسى ودعا بنى إسرائيل إلى السير فيه وعلى منهاجه. أقول كان عليهم التصديق برسالة محمد ﷺ.

أما أن يظلوا على ما هم عليه من انحراف ويحادون الله ورسوله محاولين البقاء على النصرانية بل ونشرها برصد الأموال واستغلال حاجات الناس وفتنة المؤمنين والمؤمنات عن دينهم فهذا هو الباطل بعينه، وتلك هى محاربة الله ورسوله التى يجب على المسلمين أن يقفوا أمام من يقوم بها كل بقدر استطاعته حتى يحق الله الحق ويزهق الباطل ويتحقق قول الله تعالى: ﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة :٣٣]، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [النور :٥٥].

* * *